

حوار الخلاف بعد «التفرغ» بين السادات والقذافي



من مظاهر الخلاف الذي بلغ الذروة بين الرئيس أنور السادات والعقيد معمر القذافي
تعكسه هذه اللقطة للإثنين التي تعكس حقيقة المشاعر الدفينة.

صادف أنني، في الوقت الذي قام بضعة شبان يابانيين بعملية مطار اللد التي إسمت بفروسية نادرة، كنت في طرابلس أُجري حواراً مع العقيد معمر القذافي. ولما كانت تلك العملية من النوع المثير فلم أجد لبدء الحوار مع القذافي إلا الوقوف على رأيه بالنسبة إلى هذه العملية.

وفاجأني أنه يرفض التعليق. لماذا؟ لأن العملية لم يقم بها شبان عرب أو فلسطينيون. ولو أنها كانت كذلك لكان إعتبرها إنجازاً في منتهى الأهمية.

وظهر الخميس (11 أبريل/نيسان 1974) كنت مجتمعا إلى العقيد القذافي في إحدى غرف مبنى رئاسة أركان الجيش الليبي في طرابلس.

وتم هذا اللقاء بين إجتماع وآخر من سلسلة الإجتماعات التي لا تتوقف منذ أسبوع وتُعقد حالياً في مكتب القذافي في مبنى مجلس قيادة الثورة، وأحياناً أخرى في مبنى رئاسة الأركان.

وقبل أن يغادر العقيد القذافي قاعة الإجتماع لأقبله كان الرائد أحمد المقصبي، يطلعني على نبأ عاجل بثته الوكالات من إسرائيل (أو فلسطين المحتلة كما تسميها ليبيا) عن عملية إنتحارية قام بها الفدائيون في كريات شمونه (أو الخالصة عملاً بمبدأ التعريب الليبي) وكيف أن حكومة تل أبيب (أو تل الربيع كما تُكتب في ليبيا عملاً بمبدأ التعريب أيضاً) أصيبت بحالة ذعر نتيجة العملية.

ولمجرد أن وصل العقيد وجلس قلت له إن العملية الفدائية الجديدة خير ما نبدأ به هذا الحوار. ولاحظت أنه لم يكن على علم بها لأنه كان منهمكاً في إجتماع مع كبار ضباط الأركان. وناولته الرائد المقصبي ورقة عليها خلاصة لما نقلته وكالات الأنباء وبعدها قرأها علّق بالآتي: «هذا العمل كان مطلوباً منذ زمن طويل. لقد إخترق رجال المقاومة جدار الخوف للمرة الأولى».

الوحدة مع مالطا دوم منتوف؟

وقلت للعقيد القذافي: هنالك أمر آخر كان لافتاً ومثيراً جداً. لربما لاحظت أن دوم منتوف أعلن قبل أيام أنك عرضت الوحدة عليه. هل حدث ذلك بالفعل، وما الذي يربط العالم العربي بمالطا لتعرض الوحدة عليها؟

ضحك القذافي: لعله أراد أن أكتفي بضحكته كجواب عن السؤال. لكنني من جديد كررت السؤال. وحيال ذلك قال: الواقع أنه لم يكن عرضاً. أي أنني لم أتصل بمنتوف أو أبعث إليه بموفد يحمل عرضاً، بأن تقام وحدة بين ليبيا ومالطا. كل ما في الأمر أنه قبل فترة طويلة كنت أتحدث مع منتوف في شؤون كثيرة. وخلال الحديث وردت مسألة الوحدة في شكل عابر. كان منتوف يتحدث عن اللغة العربية وكيف أن عدداً كبيراً من المالطيين يتكلمونها. وكان يتحدث أيضاً عن البرنامج العربي الذي تبثه إذاعة مالطا. وأشار إلى أن المالطيين يتباهون بأن أصلهم من الفينيقيين وأن مالطا كانت معسكراً للمسلمين عندما فتحوا جنوب أوروبا وإتخذوا منها جسراً لتنفيذ عملية فتح.

وأضاف القذافي: كان الحديث مجرد تبادل خواطر. وصادف توقيت الحديث المساعي الحثيثة لتحقيق الوحدة مع مصر أو مع تونس أو مع كليهما ومع أي دولة عربية. وخلال الحديث قال منتوف: في المدى البعيد وفي حال توحد الدول العربية فإن إنتماء مالطا إلى العرب أقرب من إنتمائها إلى أي أحد آخر. فنحن على مسافة أميال من

ليبيا. ومشاعر المالطيين متجاوبة مع المشاعر العربية، فقد نضطر إلى تحقيق إتحاد مع معكم لأن في ذلك مصلحة مالطا. وإنتهى الحديث عند تبادل الخواطر فقط لا غير.

الموقف بين مصر وليبيا

قلت للعقيد القذافي: نأتي الآن إلى الموقف بينكم وبين مصر، هل سيبقى كما حاله الآن متوتراً؟
أجاب: إنني متمسك بالاتفاقات التي عقدها مع الرئيس أنور السادات في لاهور. وأنا لم أشذ عما إتفقنا عليه.

قلت: هل لي أن أقف على ما أتفقنا عليه؟
أجاب: إتفقنا على أن الصفحة التي كانت بيننا يمكن، أو بالأحرى، يجب أن تُطوى.
قلت: أي صفحة؟

أجاب: بعد اليوم الأول لحرب رمضان حدث نوع من سوء التفاهم سببه أن نظرنا إلى الحرب لم تلتقي مع نظرة الآخرين. لكن التباين في النظرة لم يحملنا أبداً على التلكؤ في أن نقدم للمعركة كل ما تريده مصر. وبعدما زرت القاهرة وسافرتنا إلى لاهور تفاهمت مع الرئيس السادات على أن نبدأ صفحة جديدة ونتجاوز كل ما حدث ونستأنف السير في طريق الوحدة. ولم يحدث إخلال بالاتفاق من جانب ليبيا. والذي يتحمل المسؤولية هو الذي أدخل بالاتفاق.

قلت: هل تقصد أن الذي أدخل بالاتفاق هو الرئيس السادات؟
أجاب: إنني لا أحمل الرئيس السادات شخصياً مسؤولية الإخلال بالاتفاق.
قلت: هل هناك جهة أخرى مسؤولة؟
أجاب: إن من يتحمل المسؤولية الرئيسية هم بعض المصريين أعداء الشعب المصري!
قلت: من هم هؤلاء بالتحديد؟

أجاب: هؤلاء كانوا في استمرار ضد مصلحة مصر. ضد ثورة مصر. ضد جمال عبد الناصر. ضد أنور السادات. ضد الإنجازات العظيمة التي حققها ثورة مصر، ضد عمال مصر وطلاب مصر وفلاحى مصر. ضد تحالف قوى الشعب العامل. ضد التأميم ومع استمرار الإقطاع. ضد التأميم ومع استمرار الرأسمالية. وهؤلاء يطبلون الآن لأميركا التي لا تريد الخير لمصر إنما تريد أن تحتويها. هؤلاء كانوا ضد عبد الناصر والآن هم ضد أنور السادات. وهؤلاء هم الذين يتحملون مسؤولية عدم تحقيق الإتفاق.
قلت: أفهم من هذا أنك تقصد بعض الكُتاب والصحافيين في مصر. هل أن هؤلاء يكتبون ضد إرادة الرئيس السادات؟

أجاب: لقد أكد لي الرئيس أنور السادات أنه لا يقرأ الصحف المصرية. ومشكلة الشعب المصري إنه لا يسمع إلا الإذاعات المصرية ولا يقرأ سوى الصحف والمجلات المصرية. ومن أجل ذلك فإن تضليله يصبح سهلاً من قِبل بعض الذين يكتبون في هذه الصحف والمجلات أو يبثون التعليقات في الإذاعات.

قلت: عملياً ماذا يجب أن يحدث لتعود العلاقات إلى ما كانت خالية من التوتر؟
أجاب: نحن لم نغير. وما زلنا على مبدأ لم نحد عنه. والأمر في أي حال متروك للسادات.
قلت: هل ضايقك أن الرئيس السادات منح الملك السابق ادريس السنوسي الجنسية المصرية؟
أجاب: هل تجولت في شوارع طرابلس؟

قلت: نعم. ولاحظتُ أن صحف مصر التي نشرت نبأ منح الجنسية سُمح لها بأن تُوزَّع. كذلك لاحظت أن كل الصحف المصرية تُوزَّع في ليبيا على رغم بعض ما تتضمنه من هجوم على الثورة الليبية يتخذ في بعض الأحيان طابع الغمز.

ورداً على ملاحظاتي هذه قال القذافي: عندما تُوزَّع صحف مصر التي نشرت النبأ فمعنى هذا أننا لسنا مباينين بالأمر. وموضوع منح الجنسية أطلعني عليه السادات عندما كنا في لاهور. ويومها قال لي إن الملك السابق طلب أن نمنحه الجنسية المصرية وكان له ما طلبه.

العلاقة مع سوريا حوار دائم وتشاؤم مستمر

قلت: نلاحظ وداً مستجداً بينكم وبين سوريا. ما وراء ذلك. وما هو سبب ذلك؟
أجاب: بيننا وبين سوريا حوار دائم وتشاؤم مستمر وهو ليس مستجداً. إن سوريا ما زالت تحارب ومن الطبيعي بل من الواجب أن نقف معها ونسألها عما تريده. ومثل هذه الوقفة لا يفرضها سوى إيماننا بأن معركة الأمة العربية ضد العدو الصهيوني لم تنته بعد.

قلت: هل ترسلون أسلحة أو أي مواد حربية أخرى إلى سوريا؟
أجاب: إننا نعتبر أن كل سلاحنا ونفطنا في خدمة من يحارب العدو الصهيوني. وإذا طلبت سوريا أي شيء فنحن على إستعداد لأن نقدِّمه فوراً.

قلت: وهل أنكم تقدِّمون إلى سوريا إذا طلبت على أساس أن إتحاد الجمهوريات العربية يجمعكم بها؟
أجاب: إذا طلبت سوريا فإننا سنقدِّم ونتجاوب فوراً ليس لأننا عضوان في إتحاد الجمهوريات. إننا نتجاوب لأن سوريا تحارب. ولو أن لبنان، الذي ليس عضواً في إتحاد الجمهوريات، قرر أن يحارب إسرائيل فسنضع كل إمكاناتنا المادية والعسكرية في تصرفه.

أسباب الحرب وفرص التسوية

قلت: أفهم من ذلك أنك تستبعد تحقيق التسوية وتتوقع إستمرار الحرب؟
أجاب: إن ذلك يتوقف على صمود الأمة العربية. كلما زادت الأمة صموداً تضاءلت الفرص أمام التسوية. أما الحرب فإن أسبابها ما زالت قائمة.

قلت: وهل إن ليبيا منصرفة إلى التنمية أم إلى الإستعداد للمعركة؟
أجاب: إننا نبني جيشاً قوياً. والتنمية تسير في إطار صحيح ووفق الخطط التي وُضعت لها.

موضوع الوحدة مع مصر وتونس

قلت: هل جُمِدَ موضوع الوحدة بعد ما حدث بينكم وبين مصر ثم بينكم وبين تونس؟
أجاب: مصر هي جُمِدَت الموضوع. ونحن في إنتظار تونس لتفرغ من تنقيح الدستور.
قلت: هل معنى ذلك أنه على رغم كل ما حدث ما زالت ليبيا مستعدة لتحقيق الوحدة؟
أجاب: إن «ثورة الفاتح من سبتمبر» قامت لتحقيق الوحدة العربية. وما دامت الثورة مستمرة فإن سعيها من أجل تحقيق الوحدة لن يتوقف.

* * *

كان العقيد القذافي يرتدي بدلة القائد العام للقوات العربية الليبية المسلحة عندما أُجريت معه هذا الحوار. والقذافي يحرص على أن يرتدي كل أعضاء مجلس الثورة والضباط والحدويين الأحرار الزي العسكري عندما يمارسون العمل. أما خارج أوقات العمل فلهم أن يرتدوا الثياب التي يريدون. كذلك يحرص القذافي على أن يعمل بالشعار الذي إختاره وعُلّق في كل المكاتب والدوائر. بل وأن الصحف الليبية تتوج صفحاتها الأولى به. والشعار عبارة عن حديث شريف يقول «إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

لعل من أسباب التفرغ الذي صدر به قرار من مجلس قيادة الثورة أن العقيد القذافي لاحظ أن الذين يتقنون العمل هم أقل من الذين لا يتقنونه. وبعد التفرغ ربما استقامت المعادلة. يبقى أن الحوار أمتد ليشمل أموراً كثيرة طلب العقيد القذافي أن تبقى حتى إشعار آخر من غير المناسب نشرها. يبقى أيضاً أن كل شيء في ليبيا بخير... بما في ذلك صحة العقيد معمر القذافي.

نُشر الحوار في صحيفة «النهار» - لبنان
بتاريخ الأحد 14 أبريل/نيسان 1974

